المجال السابع
سفك الدم والاعتداء

ورد النهي في هذا المجال في سياقينعن:

١ – **سفك الدماء وإراقتها إلا بحق، في قوله تعالى:** ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ **لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ** وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾(٨٤).

ورد في معنى السفك: "ويسفك الدماء: يصبها. السفك: الصب والإراقة، ولا يستعمل إلا في الدم[١]"، وقتل النفس – نفس الإنسان أو نفس غيره – إلا بالحق من الكبائر والذنوب العظيمة عند الله تعالى; فبهذه الجريمة تنهدم بنية الله تعالى التي خلقها وسواها بيده، ومن ثم لا تصبح صالحة لما خلقت من أجله، وفي ذلك تطاول على الله تعالى.

والنهي في النص الكريم "يحتمل وجهين:أحدهما: لا يقتل بعضكم بعضا... والآخر: أن لا يقتل كل واحد نفسه، إما بأن يباشر ذلك كما يفعله الهند وكثير ممن يغلب عليه اليأس من الخلاص عند شدة هو فيها، أو بأن يقتل غيره فيُقتل به فيكون في معنى قتل نفسه، واحتمال اللفظ المعنيين يوجب أن يكون عليهما جميعا[٢]".

٢ – **الاعتداء بل الرد على المعتدي، في قوله عز وجل:** ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ **وَلَا تَعْتَدُوٓا۟** ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٩٠).

جاء في معنى الاعتداء: "في اللغة: تجاوز ما له إلى ما ليس له[٣]"، وقيل: "والاعْتِدَاءُ: مجاوزة الحقّ[٤]"، وقيل: "والاعْتداءُ والتَّعَدِّي والعُدْوان: الظُّلْم[٥]".

إن في النص الكريم "ثلاث دعائم من العدل، يقوم عليها هذا القتال: قتال فى سبيل الله، بين الإيمان والشرك، ودفع لعدوان المشركين على المؤمنين، ووقوف بالقتال عن مجاوزة الحد إلى اعتداء المؤمنين على المشركين! تلك هى الدعائم التي يقوم عليها قتال المسلمين أبدا مع مقاتليهم على أية ملة، وفى أي زمان ومكان[٦]"، فما أعظم وما

---

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين المصري، ١ / ٧٣

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ١ / ٤٨

(٣) معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، ٢ / ٣٥٠

(٤) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٥٥٤

(٥) لسان العرب (عدا) ، ابن منظور، ١٥ / ٣١

(٦) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١ / ٢١٢

أشرف وما أرقى هذا الدين! وهذا المنهج الرباني القويم! الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وفي هذا المقام لابد أن نشير إلى أن الجهاد بمفهومه الإسلامي إنما هو في المقام الأول رد للاعتداء، ووقوف في وجه المعتدين الغاصبين لا كما تصوره الأقلام الغربية، فقد "جرت عادة الإفرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحرب المقدسة إذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم. وقد فسروها تفسيرا منكرا. وتفننوا فيها، وألبسوها ثوبا فضفاضا من المعاني المموهة الملفقة.

وقد بلغ الأمر في ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء. وقد كان من لباقتهم، وسحر بيانهم، وتشويههم لوجوه الحقائق الناصعة، أنه كلما قرع سمع الناس صوت هذه الكلمة -الجهاد- تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدة، مصلتة سيوفها، متقدة صدورها بنار التعصب والغضب، متطايرا من عيونها شرار الفتك والنهب، عالية أصواتها بهتاف: الله أكبر، زاحفة إلى الأمام، ما إن رأت كافرا حتى أمسكت بخناقه، وجعلته بين أمرين: إما أن يقول كلمة: لا إله إلا الله، فينجو بنفسه، وإما أن يضرب عنقه، فتشخب أو داجه دما[1]".

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال:تَسْفِكُونَ – دِمَاءَكُمْ – يقاتلونكم – تعتدوا – المعتدين.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣ / ١٤٤٤